

## برنامج أنوار كاشفة سلسلة الموعدة على الجبل الحلقة التاسعة

صديقي المستمع ، ما هي نظرتك بشكل عام نحو الآخرين ؟ هل تحترمهم وتراعي ظروفهم وأوضاعهم ومشاعرهم وعواطفهم ؟ أم تراك تنتظر لهم باستعلاء منتقدا تصرفاتهم وكلامهم ؟ وكيف تنتظر إلى نفسك وتقيم أعمالك وأقوالك ؟ وهل تظن أنك دائما على صواب ؟ وهل تحاول تبرير أخطائك وأنها مجرد هفوات بسيطة غير متعمدة ؟ لكنك في نفس الوقت ترى زلات الآخرين كبيرة وكثيرة وتحاول تجريحهم بها ؟

أليس هذا هو السائد مع الأسف بين الكثيرين ؟ فكل واحد تراه يسرع بانتقاد الآخرين على تصرف ما قاموا به ، أو كلمة تلفظوها ، دون أن يحاول معرفة الأسباب والدوافع . وفي نفس الوقت تراه يبرر أعماله وأقواله ، وكأن كل ما يقوم به هو صحيح . والملاحظ أن مثل هذا الشخص يوجه انتقاده للآخرين بروح الاستعلاء ، وب نظرة دونية لهم . ويضع نفسه في مركز الناصح والمرشد .

لقد تحدث لنا المخلص يسوع المسيح عن هذا الموضوع الهام الذي يمس حياة كل واحد منا . وذلك في موعظته الشهيرة على الجبل ، والتي بدأنا بدراستها منذ عدة أسابيع . وسجل لنا البشير متى ما تحدث به المسيح حول هذا الموضوع مع بدء الأصحاح السابع . قال المخلص المسيح : " لا تدينوا لكي لا تدانوا . لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنتظر القذى الذي في عين أخيك . وأما الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها . أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك . يا مرأي أخرج أولا الخشبة من عينك . وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك." (متى ١:٧-٥)

من السهل علينا جميعا أن نسرع بانتقاد وإدانة الآخرين ، فهذه طبيعتنا كبشر . لهذا نجد المخلص المسيح يحذرننا من إدانة الآخرين . لأننا عندما ندينهم نحكم أولاً على أنفسنا ودون أن ندري . فهل فكرت مرة بهذا الأمر يا صديقي ؟ وتساءل كيف ؟ والجواب : أنني عندما أدين الآخرين على تصرف ما قاموا به أو جملة معينة قالوها ، فإن هذا يعني وبطريقة غير مباشرة أنني شخصيا لا أقوم بمثل هذه الأعمال ، ولا أتلفظ بهذه الكلمات .

لا بل أكثر من ذلك ، إن هذا يعني أيضا أنني أضع مقياسا لنفسي علي أن أسلك بموجبه . فكيف أقوم بعمل أدنتُ الآخرين من أجله ؟ وكيف أتفوّه بكلام وجهت اللوم لقائله ؟ أو ليس هذا ما نلمسه من خلال علاقاتنا مع الناس ؟ فكم من شخص نراه يدين الآخرين ، وبعد مدة نجده يقع في نفس الخطأ وأحيانا أسوأ منه . فماذا يكون تفسيره أو تبريره للأمر ؟

وفي نفس الوقت فكأننا نطلب من الله أن يحاسبنا على أساس هذا المقياس الذي وضعناه لنفوسنا . ولعل هذا ما أشار إليه المخلص المسيح عندما قال : " لا تدينوا لكي لا تدينوا . لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدينون . وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . " فهل يرغب أي منا أن يحاسبه الله على هذا الأساس ؟ أو ليس كلنا معرضون للخطأ ؟

ولنلاحظ هنا أن المخلص المسيح لم يمنعنا من إدانة الآخرين أو تقديم النصح والإرشاد لهم ، لكنه طلب منا أن نحكم على نفوسنا أولا وقبل أن ندين الآخرين . أي علينا أن نرى أولا أخطاءنا الكثيرة ونصحها ، قبل أن نتوجه نحو الآخرين بإدانتهم . ولقد شبه المسيح أخطاءنا بالخشبة التي في العين ، بينما وصف أخطاء الآخرين بالقذى ، ويا للفرق الشاسع بين الاثنين .

ولهذا لم يكن غريبا أن يطلق المسيح على أمثال هؤلاء الناس الذين يسرعون بانتقاد الآخرين دون رؤية حقيقة نفوسهم بصفة المرئيين . والمرائي هو الشخص الذي يرى بسرعة أخطاء الآخرين ، ولا يدرك في نفس الوقت حقيقة نفسه الخاطئة . ولذلك دعاه المخلص المسيح أن يُخرج أولا الخشبة من عينه ، أي يتوب عن أخطائه . وعندها يصبح بإمكانه أن يبصر جيدا ويساعد أخيه في إخراج القذى من عينه .

أما عملية إخراج القذى من عين أخينا فيجب أن تكون بروح المحبة والعطف وبإيجابية . فليس الهدف أن نحطم أخانا بل أن نساعده لكي يصحح الخطأ الذي وقع فيه ، لكي يعود ويسلك في الطريق الصحيح . وعندما يكون هذا هو هدفنا ونستخدم الوسيلة الصحيحة في توضيح ما نريد منه ، لا بد أن تكون النتيجة التي نتوخاها في معظم الأحوال . فهل نسعى لكي نرى حقيقة نفوسنا الخاطئة قبل أن نوجه سهامنا إلى الآخرين .

قد يسأل أحدهم : لكن كيف بي أصحح أخطائي وأنتصر على عاداتي الفاسدة لكي أستطيع مساعدة الآخرين وتقويم اعوجاجهم ؟ إنه بالحق سؤال هام . ولقد أجابنا المخلص المسيح عنه، إذ نجده يتابع قائلا : " أسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يُفتح له . " (متى ٧:٧ و٨)

هنا يكمن السر إذن، إذ علينا أن نتوجه بالصلاة نحو الله الأب السماوي ونطرح عليه كل ما يتقل قلوبنا من أحمال وهموم . وهو لا بد أن يستجيب صلاتنا لاسيما إذا كانت صادرة من القلب وبإيمان . إن الله لا يخيب كل من يأتي إليه طالبا المغفرة عن خطاياها ،

أو النصر على عاداته الفاسدة . إذ هذه هي مشيئة الله في حياتنا أن يحررنا من عبودية الخطية ، وأن يهبنا حياة النصر والغلبة ، وأن نعيش بالاستقامة أمامه وأمام الآخرين .

ولنلاحظ أن المخلص المسيح أكد قاعدة هامة في علاقتنا مع الله الآب السماوي . فقال أنه علينا أن نسأل لكي نعطى . ويجب أن نطلب لكي نجد . وعلينا أن نقرع لكي يُفتح لنا . صحيح أن الله يعرف احتياجاتنا ويعلم ظروفنا وكل ما نمر به ، لكنه يريد منا أن نتوجه نحوه ونسأل ونطلب ونقرع . فهو يريد أن يكون عندنا الإيمان الكامل والثقة العميقة به ، وعندها لا بد أن يستجيب لطلباتنا .

ولهذا نجد المخلص المسيح يتابع حديثه قائلاً : " أم أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا . وإن سأله سمكة يعطيه حية . فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه." (متى ٧:٩-١١)

لقد ضرب لنا المسيح هنا مثلا من حياتنا اليومية ، فمن غير المعقول أن يسأل ابن والده خبزا فيعطيه حجرا أو سمكة فيعطيه حية . فإذا كنا نحن البشر الخطاة نعرف أن نعطي أولادنا عطايا جيدة ، فكم بالحري والدنا السماوي الذي يريد خيرنا وصالحنا . وهو لا بد أن يهبنا الخيرات أي يغفر لنا ذنوبنا ، ويهبنا النصر على عاداتنا الفاسدة . لكن علينا أولا أن نسأل ونطلب ونقرع .

ثم قدم لنا المخلص المسيح قاعدة هامة توجز علاقتنا مع الناس الآخرين إذ قال : " فكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم . لأن هذا هو الناموس والأنبياء." (متى ٧:١٢) كيف نريد أن يعاملنا الآخرون؟ بالطبع ، نريدهم أن يعاملونا بالمحبة ، وأن يسامحونا عندما نخطيء لهم . وأن لا يشهروا بنا عندما نرتكب خطأ ما . وأن يحاولوا مساعدتنا بأسلوب إيجابي وبناء .

إذا كان هذا هو ما نريده من الآخرين ، علينا إذن أن نعاملهم على أساس هذه القاعدة الذهبية . وكما قال المسيح ففي هذه القاعدة يتلخص الناموس والأنبياء . ونعلم أن أهم قاعدة في الناموس هي: أحب قريبك كنفسك . وعندها لا نسرع في إدانة الآخرين ، بل عل العكس ننظر لنفوسنا أولا ونحاول تصحيح اعوجاجنا والرجوع عن أخطائنا ، قبل أن نرى أخطاء الآخرين وعيوبهم .